فى مولد السيدة زينب

ضحكنا للهموم وقلتُ هيّا ... نُضِلُّ همُومَنا بين الزّحامِ !
فسرنا فى مواكبَ حاشداتٍ ... تَدفّقُ كالظلام على الظلامِ
ولا يُجدى عليها النورُ الاّ ... كما يُجدى تهاويلُ المنامِ
فودّعْنا التنفّسَ حين سِرْنا ... فكيف إذنْ بتوديعِ الكلامِ ؟!
وأظمأنا الزّحامُ فما شربنا ... سوى فرط الأُوامِ على الأُوامِ
وكنا قد نسينا السّحبَ حتى ... رأينا البدرَ يَسبح فى الغمامِ
ويَشرب راحه ، ولكم شَربنا ... من الأضواء راحَ المستهامِ
ولكنْ هذه ساعاتُ وَهْمٍ ... تحلّتْ عن تعلاّتِ الغرامِ
وقد ثار الغبارُ فصار مَعْنَى ... لغيرِ السّلمِ فى مثل القَتامِ
ونحن نسيرُ إعجازاً كأنا ... خُلِقنا للزحامِ بلا عظامِ
نسيرُ ويدفعُ التيّارُ دفعاً ... جُموماً فى موائجهِ الجسامِ
كأنّ (النيل) فاض فكان خَلقاً ... وكان حطامُهُ صُوَرَ الطّغامِ
وكم مِنهم وَلِىٌّ فى ثيابٍ ... مضمّخةٍ بألوانِ الحرامِ
يَشقُّ الجمعَ مزهُوّاً قريراً ... وليس سواه من أهل « المقامِ »
كأنّ معالمَ الزينات قامتْ ... تتوّجه على المُهَج الدّوَامى
يبارك كلَّ مكلومٍ عليلٍ ... ومِنْ أمثالهِ عِللُ الكلامِ
وتُلثمُ راحتاه ، وليس أولى ... بلثمهما سوى حَدِّ الحُسامِ

مَهازلُ فى المواسم صارخاتٌ ... كأنَّ الرُّشدَ نُهزَةُ الانتقام
إذا راجت بها الأسواقُ كانت ... رواجاً للرذيلةِ والتعامى
مواكبُ ما لها عقلٌ وإلاَّ ... فأحلامٌ تنوءُ بالاصطدام
كأنَّ البعثَ أخرجَها تمرَّايا ... لأنواعِ الخصومةِ والوئام
نَميرُ ويزخرُ الميدانُ حتى ... ليزخرُ بالكرامِ وباللِّئام
قد انسجموا على صُوَرِ اضطرابٍ ... فساءت فى اضطرابٍ وانسجام
وألوانُ الطعامِ تفوح حتى ... تُخالَ سلاحَ أعداءِ السَّلام
« فللأحشاء » ما شاء المنادى ... تهاويلُ الدعابةِ للحِمام
« وللأرز » المفلفل فى صَوانٍ ... صِياحٌ جرَّ أنواعَ الخصام
« وللحلوى » على العرباتِ نجوى ... لشوقِ الأمِّ أو شوقِ الغلام
تموج الطَّرْقُ بالآلاف موجاً ... نشاوَى أو ضحايا للسقام
فليس بهمْ لمبتسمٍ مكانٌ ... فان يَبْسِمْ تَعَثَّرَ فى ابتسام
وتنبح بينهم بالزَّمر شتى ... من العرباتِ أو قُطرِ الترام
كأن الحشدَ أرهقها جُنوناً ... فلم تعبأ بمعنى الاحتشام
تعلَّق كلُّ منكوبٍ عليها ... فما لاحوا بها مُثُلَ الأنام
وطبَّل غيرُهم والرَّقصُ يَدْوى ... وأعلامُ المشايخ فى احتدام
وأمواجُ الجموع تُصَبُّ صَبّاً ... الى حَرَمِ الزِّيارةِ فى عُرام
وأخرى فى تَدَفُّقِها حَيَارَى ... وقد أودَى بها عَبَثُ الحرامى
وهذا القردُ يلعب فى سرورٍ ... كأن سرورَهُ سُكرُ المدام
وهذا البهلوانُ الطفلُ يمشى ... على رأسٍ تدحرجَ فى الرِّغام
وهذى الطفلةُ الحسناءُ تلهو ... برقصٍ للأنوثةِ فى اضطرام
مَفاتِنُها بعينيها تراءت ... فكيف إذا رأت دَوْرَ اللثام ؟!
وكم من باعةٍ مرحوا وكانوا ... شُكولَ النابغين من اللئام

وكم فوق الحوانيت ابتهاجٌ بأضواءٍ كأوسمةٍ سَوامى
وعند الجامع المعبودِ شتّى من الزينات مشرقةُ النظامِ
يَضيع جمالُها وكأنّ مَرأى مفاتنها حُطامٌ فى حُطامِ
كمرأى الجائعين وقد تهاوَوْا على قِصَعِ الدنىء مِنَ الطعامِ
ومَرْأى كلِّ فلاحٍ شَرودٍ فما يدرى الوراءَ مِن الأمامِ
ومَرْأى كلِّ غانيةٍ لعوبٍ أحقّ مِن المِهارةِ باللجامِ
ومَرْأى كلِّ راضعةٍ وباكٍ وساقي الشرْبِ كالموتِ الزؤامِ
ومَرْأى كلِّ شحّاذٍ أصيلٍ يلوح بعزّةِ البطلِ الهمامِ
ومَرْأى اللاعبين وانّ منهم لأحلامَ الطفولةِ كلَّ عامِ
ومَرْأى التائهينَ وليسَ فيهمْ سوايَ أضلُّ فى هذا الزحامِ !

أحمد زكى أبو شادى

موكب التراب

فى يوم من أيام الصيف الشديدة الحرّ كان الشاعر جالساً مع بعض أصحاب له أمام داره فهبت ريح شديدة أثارت الغبار وعقدته فى الفضاء كالسرادق . وكان فى مشهد الغبار ما حمله على التفكير فنظم القصيدة التالية :

مِنْ أينَ جئتَ ؟ وكيف عُجتَ ببابِي يا موكبَ الأجيالِ والأحقابِ ؟
أمِنَ القبورِ ؟ فكيف مَنْ حَلوا بها ؟ أهنـاكَ ذو ألمٍ وذو تطرابِ ؟
ولهم صبابةٌ لنا ؟ أم غودروا فى بَلقعٍ ما فيه غيرُ خرابِ ؟

* * *

أمَرَرْتَ بالأعشابِ فى تلك الرُّبى وذكرتَ أنكَ كنتَ فى الأعشابِ
حَوْلَ الصخورِ النائماتِ على الثرى وعلى حواشى الجدولِ المنسابِ ؟
وعلى مَ تصعَدُ كالسحابةِ فى الفضا وإلى التراب مصيرُ كلِّ سحابِ ؟

لمّا طلعتَ على الشعاع موزّعاً ... مترجرجاً كخواطرِ المرتابِ
وذهبتَ فى عَرْضِ الفضاء كخيمةٍ ... رُفِعَتْ بلا عُمُدٍ ولا أطنابِ
قال الصحابُ لىَ استترْ! وتراكضوا ... للذعرِ يعتصمونَ بالأبوابِ
وهَبْ انّقيتُكَ بالحجاب فاننى ... لا بدَّ خالعهُ وأنتَ حجابى
كم مارحٍ فى غابةٍ عندَ الضحى ... جاءَ المساءُ فكان بعضَ الغابِ
ومصفّقٍ للخمرِ فى أكوابهِ ... طرباً وطيفُ الموتِ فى الأكوابِ
أنا لو رأيتُ بك القَذَى محضَ القذى ... لسترتُ وجهى عنكَ مثل صحابى
لكنْ شهدتُ شبيبةً وكهولةً ... ومُنًى وأحلاماً بغيرِ حسابِ
والشاربين بكلِّ كأسٍ والالى ... عاشوا على ظمأٍ لكلِّ شرابِ
والضاربين بكلِّ سيفٍ فى الوغى ... والخانعين لكلِّ ذى قرضابِ
والصَّارفينَ العمرَ فى سُوقِ الهوى ... والصَّارفينَ العمرَ فى المحرابِ
والغيدَ بين جميلةٍ ودميمةٍ ... والعاشقين — الصبِّ والمتصابى
والعبدَ فى أغلالهِ وحبالهِ ... والملكَ فى الديباجِ والأطيابِ
آبوا جميعاً فى طريقٍ واحدٍ ... الخاسرِ المسيِّ مثلُ السابى
فضحكتُ من حِرصى على ملكِ الصبا ... وعجبتُ كيف مضى عليه شبابى
ووقفتَ أنتَ على ترابِ ضاحكٍ ... لما وقفتَ علىَّ فى جلبابى
وكذاكَ أشواقُ الترابِ تمآلُها ... ولئنْ تقادمَ عهدُها لترابِ!

ايليا أبوماضى

أخلاقهم

يشمخُ قومٌ بمالهم ولقد ... سيموا به ذِلةً فما شمخوا
وانتفخوا مرةً فذ بصروا ... بالسيف ناموا له فما انتفخوا
تطلّبوا خُطةً وليس لها ... فى الناس الا غطارفٌ رُسُخ

ومَن رأى السيفَ ثم لانَ له فالرأسُ منه لابد مُنفَدَخُ
تلاوذوا يطبخون أمرهمو فكان للخسر كلُّ ما طبخوا
واحتضنوا بيضةَ مذ افترخَتْ سالت ، ألا ساء ما بها افترخوا !
وانسلخَ الليلُ والنهارُ فما فاتوا عماياتهم ولا انسلخوا
واقتعدوا الأرضَ وهى ليس بها شيء عن الشغل ثَمَّ منسلخُ
ففوقَها الريحُ والسحائبُ والـ ـنارُ وفيها المنابعُ النُضَّخُ (١)
تعللوا بالسماء تمطرُهم رزقاً وباتوا للذلِّ قد رضخوا
لم يَدفعوا للعُلى فكان لهم خَطْوٌ ولم يُنتَخوا لها فَنُخُوا
إنَّ الجمادات إذ تُرادُ على الـ إذعانِ تُلقَى هناك تُرتَضخُ
فتُجهدُ المعملى سواعدهم فهى بفرطِ الاجهادِ تنفضخُ
وهم لَفَى إن أرادهم شكسٌ على اهتضامٍ تزايلوا ورُخُوا
كأنهم وَهْيَةٌ قد انسَرَبَتْ عن عنكبوتٍ تُطيرُها النَفَخُ
ولم يكن ذُلهم وهم شِيَخٌ لكنهم أذعنوا وهم شُرُخُ (٢)
وهَمُّهم نفخةُ الوظائفِ والـ ـفارغُ فى القوم كان ينتفخُ
لو لم يكن فارغاً لما امتلأت حَقْوَاهُ حتى لكادَ ينفسخُ
تلقى الفتى منهمو يُخال أخاً وهو اذا ارتَثتَ لاحُصصتَ أخُ (٣)
يخون ذا الصدقِ والوفاء ولن ينبتَ بقلاً على الحيا السَّبَخُ (٤)
يُضحى نقىَّ الثيابِ مونقَها والعرضُ منه بالذامِ متَّسخُ
مستعظمٌ وهو غيرُ ذى خطرٍ كما تعالى واستعظمَ اللَّبَخُ
تشابهَ الكلُّ فى مَشالبهم فالبعضُ منهم عن بعضهم نُسَخُ
لهم خِلالٌ لو صُوِّرت قَبُحَتْ كأنهم فى خِلالهمْ مُسِخوا

(١) نَضَخَ الماء تفجر من جوف الأرض . (٢) شيخ كعنب جمع شيخ .
(٣) المحصوص الذى تتف ريشه (٤) الحيا بالقصر المطر .

كم نقضوا من يَدىْ محالفهم عقودَ ميثاقهم وكم فَسَخُوا
أقول مستصرخاً وأعلمُ أن ليس لحُرٍّ فى القوم مُصطَرَخُ
بالله واللهُ قاهرٌ أبداً به تظلُّ الأمورُ تُنقسَخُ
ليحذروا غبَّ ظلمهم ، فدمُ الظا لم يوماً بثوبه لِطَخُ
لا بدَّ من ساعةٍ بها يسأل الأقوامُ ما فرَّطوا وما بذخوا
فيا اناسٌ همُ الأذلةُ فى الرَّوعِ وهمْ فى السلام همْ شُمُخُ
انى لأَلقى الدنيا فأبصرها وجهاً نقيّاً أنتم به وسَخُ
لا تحفِرُوا القردَ إنّ خِلقته أصلٌ صحيحٌ وأنتمو مِسَخُ
ضَلَّ الأُلى يوقدون خامدَكم فانهم فى الرمادِ قد نَفخُوا
والشَّيْخُ[1] من غيركم يُظنّ فتًى بأساً وأنتم فَتاؤكم شَيَخُ
أين الذى يُرتجَى لمعضلةٍ فى الأمرِ منكم والأمرِ مؤتلخُ[2]
لا يُذكر الفضلُ بينكم ، ومتى يذكرْ لديكم يُكرَّمِ البذخُ
ما للسجايا الحسانِ مَفخرةٌ فيكم فكلٌّ بغيِّه جَفِخُ[3]
دواءُ قلبى مصيبةٌ عَمَمٌ لطخياءُ منها الآذان تنضمخُ[4]
تأتى عليكم فالكلُّ منعفرٌ مُلقى على القاع شِلوهُ زَنِخُ
أو تُصبحوا رفعةَ لمرتفعٍ يعلو بكم قَدرُه وينشمخُ

حبيب عوض الفيومى

(١) الشيخ كالقصب الشيخوخة (٢) مؤتلخ أى مستحكم (٣) الجفخ الفخور
(٤) طخياء ثقيلة مدلهمة ، وتنضمخ تعمّ .